



إذا اشتد سواد الليل وغابت نجوم السماء وراء حجاب الغيم الكثيف لم يعرف المرء شرقاً من غرب ولا استطاع أن يميز شمالاً من جنوب، فعندي يضل الطريقَ مَنْ لم تكن في يده بوصلة تهديه. وأحسب أننا نعيش في هذه الأيام في مثل هذا الظلام، وأن كثرين منا يتعرضون للحيرة والتشتت بين الحقائق والأوهام.

إن أهم ما يهمّنا هو أن لا نختار حيرة تدفعنا إلى ترك الثورة والجهاد، وأن لا نفقد الاتجاه فنمشي في طريق مُضِلٍ يوردننا موارد التهلكة والضياع.

كان لنا من أول الثورة عدو وما يزال، هو نظام الاحتلال الأسدية الطائفية الذي ثرنا عليه لنسقطه ونحرر سوريا من ظلمه وطغيانه، ولم يكن لنا -في ثورتنا- عدو غيره.

ثم صار لنا عدو آخر هو الحزب اللبناني الطائفي الذي اقتحم بلادنا ووقف مع النظام فآزره وقال: نسقط معًا ومعًا نعيش (وما ليثت أن لحقت به مَثيلاته من المليشيات الطائفية العراقية والإيرانية، فهي وهو عدو واحد).

ثم صار لنا عدو ثالث حينما جاءت داعش فاحتلت أراضينا المحررة وقتلت مجاهدينا، وعملت على "تجريف" ثورتنا واقتلاعها من جذورها لإقامة مشروعها على أنقاض مشروعنا الذي قدّمنا فيه ربع مليون شهيد و مليون معتقل وجريح.

يا أيها الناس: إن مشروعنا واضحٌ وعدونا معروف؛ إنه العدو الذي يصارعنا صراعاً وجودياً ولا ينazuنا على جزء من

المشروع. إنه العدو الذي يقول: أنا أو أنت، مشروعكم، أحذنا سيفوز بكل شيء والآخر سيخسر كل شيء. هذا هو جوهر صراعنا مع داعش وحالش والنظام السوري، صراع وجودي ليس فيه إلا رابح واحد، والآخر سيخسر مشروعه ويخرج من الميدان بلا شيء سوى الفقد والخساران.

نعم، إن لنا معركتنا الواضحة ولنا أعداءنا المعروفيين، فمن وقف معنا في جهادنا وسعينا لتحرير بلادنا وإنشاء دولتنا الحرة المستقلة فهو صديق يستحق منها الموالاة في الحق والأخوة في الله، ومن وقف مع عدونا، مع أي عدو من أعدائنا، فهو منه ومنهم ولا يستحق منها إلا العداء.

أما من حجب عنا السلاح ومنع وصوله إلينا ثم زعم أنه جاء بنفسه لنصرتنا فإنما هو منافق كاذب. لقد انكشف الحجاب وظهر الخبيء ولم يعد ممكناً أن تخدع أمريكا شعباً كاملاً عاقلاً كالشعب السوري، فالصغير والكبير في سوريا يعلمون أن أمريكا منعت عن المجاهدين السلاح، ولا سيما السلاح النوعي، وأنها لم تُبال بالسوريين ومعاناتهم وهو مكشوفون أمام طائرات النظام، يتلقون صواريده وبراميله كل يوم بالمئات ثم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، لأن أمريكا قررت أن ذلك السلاح لا ينبغي أن يصل إلى أيديهم مخافة تسربه إلى الإرهابيين، فجاز -في شرعاها الأعوج- أن يُفنيهم الإرهابي الأكبر لكيلا تصل بعض الصواريخ إلى أيدي "إرهابيين" صغار!

ثم إن أمريكا أثبتت أن تؤمن سماء سوريا وتحظر فيها الطيران، وكانت كالتي حبسـت الهرة حتى ماتت، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من حشرات الأرض.

وكذلك أمريكا، لا هي وفّرت لنا الحماية ولا هي تركتنا نحصل على السلاح الذي نحمي به أنفسنا، ثم جاءت بحملة استعراضية تزعم أنها تريد إنقاذهـا بها من الإرهاب! يا لخبث أمريكا ونفاقها ويا لها من عدو لئيم؛ تصنع الإرهاب وتغذيه وتحميـه، ثم تغزو بلادنا باسم الحرب على الإرهاب!

بقي أمر مهم لا بد من تبيانه حتى لا نضيع البوصلة ونفقد الاتجاهات، وهو تبيان يحتاج إلى صراحة نقولها بمحبة وأخوة، وإنما نقول ما نقول حتى لا نقع في إثم الكتمان. إننا نخوض معركة واضحة مع عدو محدد كما قلت آنفاً، فمن كان معنا في هذه المعركة فهو منا ونحن منه ويستحقـنا النصرة والولاء، ولكن ليس له أن يقودـنا إلى معركة غير معركتـنا وأن يُسقطـنا في مستنقـع ليس منه خروج.

أقول هذا تعقيباً على كلمة الجولاني الأخيرة التي شنَّ فيها الحرب على الطواحين (على عادة خطابات القاعدة ومعاركها الدونكشوتية)، فهـدـدـ وأـوـعـدـ، ولم يـنسـ أن يـذـكـرـ العالم بالـحـرـوـبـ والـحـمـلـاتـ التي هـدـمـتـ مـمـالـكـ الـكـفـرـ وأـخـضـعـتـ بـارـيسـ وأـجـبـرـتـ مـوسـكـوـ عـلـىـ دـفـعـ الـجـزـيـةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ! وهـكـذاـ فـقـدـ صـارـ عـلـىـ الثـورـةـ السـوـرـيـةـ أـنـ تـحـارـبـ دـوـلـ الـجـوـارـ وـدـوـلـ الـإـقـلـيـمـ وـدـوـلـ الشـرـقـ وـالـغـرـبـ أـجـمـعـيـنـ!

قد يقول قائل: ولكنه حاربـهمـ لـمـ حـارـبـهـ وـقـصـفـواـ مـقـرـاتـ النـصـرـةـ. أـقـولـ:ـ وـمـاـذـاـ كـانـ يـنـتـظـرـ منـ أـمـرـيـكاـ وـقـدـ أـعـلـنـتـ النـصـرـةـ أـنـهاـ تـنـظـيمـ تـابـعـ لـلـقـاعـدـةـ الـتـيـ تـحـارـبـ أـمـرـيـكاـ وـتـهـدـدـهاـ فـيـ عـقـرـ دـارـهـ؟ـ أـكـانـ مـنـتـظـراـ أـنـ تـرـدـ أـمـرـيـكاـ بـقـذـفـ مـوـاـقـعـ النـصـرـةـ بـالـلـوـرـوـدـ وـالـأـزـهـارـ؟ـ وـهـلـ نـسـتـغـرـبـ أـنـ تـشـارـكـ فـيـ الـحـمـلـةـ بـعـضـ دـوـلـ الـجـوـارـ بـعـدـمـاـ نـشـرـ قـاضـيـ النـصـرـةـ الـعـامـ -ـمـنـذـ عـدـةـ أـشـهـرـ فـحـسـبـ-ـ تـغـرـيـدـاتـ يـتوـعدـ فـيـهاـ تـلـكـ الدـوـلـ،ـ فـيـقـولـ (ـبـالـحـرـفـ):ـ "ـيـجـبـ أـنـ لـاـ يـحـصـرـ الـجـهـادـ الـآنـ فـيـ الـعـرـاقـ وـالـشـامـ.ـ لـاـ بـدـ مـنـ الدـفـعـ بـهـ عـبـرـ"

حدود الجزيرة والأردن، وهذا استثمار مبارك لمن أحسن النظر"؟!

يوماً يقذف قائد النصرة في القلمون جماعة النصرة في معركة مع الجيش اللبناني ويوماً يعلن قاضي النصرة الحرب على الأردن وال سعودية! أعزّ على جبهة النصرة أن يجد اللاجئون السوريون ملجاً في الأرض فأرادت أن تغلق دونهم بابه وتفتح لهم باباً لملاجاً في السماء؟

* *

يا قوم: مَنْ كانت له معركة فليخُضْ معركته كيف شاء، ولكن لماذا تفرضون على أهل الشام معارككم الهوجاء؟
ولماذا يتوجب على أهل الشام أن يستقبلوا كل محارب ثم يكونوا جزءاً من معركته ضدَّ مَنْ يحارب؟
من قال لقاضي النصرة في الشام إن أهل الشام يريدون أن يكونوا جزءاً من حربه على دول الجوار؟
ومن قال لأمير النصرة إن أهل الشام سيكونون جنداً في غزوته على واشنطن وموسكو وروما وباريس، أو أنهم سيكملون الحروب التي فتحتها القاعدة في كل مكان في الدنيا ثم تركتها بلا نهايات؟

إننا لنتساءل (وحقّ لنا أن نفعل):

هل جاءت النصرة إلى الشام لتنتصر لأهلها وتعينهم على تحقيق مشروعهم العام أم جاءت ل تستنصرهم وتستعين بهم لتنفيذ مشروعها الخاص؟

لقد نصّح الناصحون إخواننا في النصرة -منذ دهر- أنْ فُكُوا ارتباطكم بالقاعدة واحصروا جهادكم في الشام كما صنع الأحرار، بل إن قادة أحرار الشام (الشهداء بإذن الله) كانوا على رأس الناصحين.

ولكن إخواننا في النصرة أَبَا أن يستمعوا للناصحين، ولماً قام فيهم رجل رشيد بخطّ خطة للإصلاح نبذوه وخلّوا بينه وبين عصابة داعش ففتكت بجنوده وأجْلَتْه عن أرضه، ثم أقصَوه عن القيادة الشرعية للنصرة واستمرّوا على المنهج القديم الذي ألغوه، فضاعت فرصة في المراجعة والإصلاح قد لا تتكرر ولا تسنح مثلها في قوادم الأيام.
المشتكي إلى الله؛ بين نفاق أمريكا وقتل الطواحين ضاع أهل الشام.

الزلزال السوري

المصادر: